

الباب الثاني:

ورداتٌ من بستان الشعر
المصريِّ المعاصر

شاعراتٌ لهنَّ أجنحةٌ

عذريّة القصيدة وجنون الأنثى

على راحتي هبة الفقي

وقراءة في قصيدة (ميلاد الغرام)

لم تكن هبة الفقي بين أتراب عصرها في فن الغزل إلا من الشّواعر اللاتي يمتلكن حسّاً مفعماً، و وجدانا خصباً، وفيضا من المشاعر شفيف ورقيق، بالإضافة إلى امتلاكها حصيلة لغوية هائلة مكنتها من الإمساك بزمam القصيدة عن وعي وإدراك، أسلوباً ولغة و تصويراً ندياً، وخيطاً درامياً محكماً. وقد تميّزت عن شواعر عصرها بميزة الجرأة والعنفوان في اقتحام أصعب المناطق وعورة، وهي عاطفة الأنثى، وذلك نظراً للتقاليد المجحفة، لكنّها الشاعرة الندية، والأنثى الأبية التي تجد حلاوة وعذوبة لا حدّ لهما عند اقتحام هذا المجال والإبحار فيه، (فن الغزل) متسلّحة بصدق حسّها وعنفوان مشاعرها، متشّحة بثوب الطّهر وجلال المعنى، فهي الموقنة حدّ الإيمان أن ماهية الأنثى ليست في مزاحمة الرّجال مواضيع يتطاحنون فيها إثباتاً لفحولتهم الشّعريّة، ورغم مزاحمتها لهم كشاعرة قديرة إلا أن مضمارها المحبّب إلى قلبها هو المجال الذي قد هيأت له جنّبات الرّوح بماهية الأنثى الحقّة،

وفىوض التحنان، متكئة على معين ثقافتها الإسلامية ونهر ثقافتها الإنسانية الواسعة.

لم تشأ هبة الفقي أن تكون شاعرة تنسج الصور والكلمات بلاغة وحلاوة فقط، مبتعدة عن إمتاع ذاتها، ومشاركة لأقطاب الغزل العفيف من أمثال ليلى وعزة وولادة ونازك الملائكة وسعاد الصباح وغيرهن، بل تدفق من معين وجدٍ راقٍ وغزل صافٍ رقيق، يتماهى مع طبيعة شخصيتها ورسالتها الأولى التى تقدسها وتعرف قدرها إنها الحبيبة والزوجة والعاشقة والأم والسكن، تعطي فتذوب حدّ العطاء، وتذوب عشقا فتنتشي، و تمنح المحبوب قوة دافعة من بذل ومحبة وفداء.

إنّ فنّ الغزل عند المرأة العربية العصرية أصبح فناً مهجوراً- بشكل كبير- لدى السواد الأعظم من الشوارع الآن، إلا على من تثق في صدق ما تحمل من مشاعر وفیوضات منهن (هبة الفقي) التى تسطر في جرأة أنثوية وقدرة بلاغية ما تشاء، معلنة أنّ المرأة ما هي إلا أیکة من حبّ وفیض وحنان، نرى ذلك واضحاً جلياً في قصائدها الغزلية التى أوقفته على حبيب صار كل دنياها، عشقا وانصهار ذاتٍ في ذات، مخاطبة في كلّ قصائدها الغزلية زوجها الحبيب، مؤمنة كل الإيمان أنّ الحب ما هو إلا مرض لذيذ مستطاب، وطاعة ومرضاة للحبيب في ذات الله،

فتتماهى فيه منتهى التماهى، وتتخذهُ ردفاً لها ورداءاً
وسنداً لها في معترك الحياة. يبدو ذلك جلياً في
قصيدتها (ميلاد الغرام) التي تتغنى فيها بيوم مولده،
عشقا ومناجاة، لتعلن للدنيا أنّ مولده كان معجزة
وميلاداً لها وحياة:

اليومَ أفتحُ للحنين مرافئَه
وأبثُّ أمواجَ الغرام لأطفئَه
طقسُ الجنون يلفُ صمتَ دقائقِي
بالله كيفَ لخافقي أن يُرجأه
قد حانَ صبحُ المعجزاتِ فيها
أنا والأُمْنِياتُ على يَدِي متلائيَه
سأزِيلُ عن ثغرِ الفؤادِ لجامَه
حتى ييوحَ بكلِّ شوقٍ خبأه.

(اليومَ) وما ذاك اليوم يا شاعرة؟ أوقد أكننتِ الغرامَ
دهراً ثم فاض ريحانا، فكان نهراً وشعرا وغناء؟! إنّ
المنتبّع لمشوار هبة الفقي الشعري يعرف أنّ حرفها
الغزليّ لا ينطق، إنّ سرّاً أو جهراً إلّا بحبّ فارسها
الأوّل فقط. وقبل الخوض في نهر قصيدها لا بدّ من
الوقوف على تلك القافية الملائمة لحالة العشق والتأوه

والمناجاة (الهمزة المفتوحة والهاء الساكنة) التي تتلاءم و جلال التجوى وعنفوان الغرام، وتلك الحروف تترى رقراقة وسلسلة مع أمواج بحر الكامل، متغنية بحلو الهوى وفيض الغرام، فما كان مولده وحبّه إلّا معجزة في زمن الجذب والخداع، نعم، فمتى يصبح الحبّ صادقا يكن معجزة في زمن تداعت فيها قيم الحبّ وانهارت فيه دعائم الوفاء.. (قد حان صبح المعجزات)، وكأنّ مولده قد صار معجزة الزمان، ولا ضير في تلك المبالغة في مقام العشق والتغنى بمناجاة المحبوب ف (الأمنيات على يدي متألّنة) إذن قد ظفرت بلآلى دنياها وأمنياتها بالقرب منه والاقتران، ولنقف عند تلك الصّورة الشعريّة الجميلة برهة (سأزيل عن ثغر الفؤاد لجامه) لنرى حقيقة وطبيعة الأنثى ماثلة ههنا، فما قلب الأنثى عند هبة الفقي إلا مهر جامح لا يصدّه عائق ولا يحجمه عن جنونه حائل، عندما تتملكه نار الشوق وصهد الغرام، ولنتمعّن جيدا في لفظة

(سأزيل) لتخبرك حقيقة وقوة وصلابة المرأة عامّة، وعند هبة الفقي خاصّة، فهي المتحكّمة في مشاعرها بعنفوان وجبروت، ولا يمكن لأيّ مخلوق أن يمتلك مشاعر الأنثى إلا إذا أرادت هي ومنتّ، فأمر الأنثى دائما ببدها، ثم تواصل السّباحة عبر تدفق مشاعرها الصّادقة متمنية أن لو يكمل الزمان حلاوة شهبه

ويحقّ كلّ أمانيتها معه:

ماذا لو الأحلامُ صبّتْ شهدها
أو بدّلَ الليلُ المُعتقُ مبدأه؟
ماذا لو البسماتُ هلّتْ ريحُها
أو صارتُ الأفراحُ للدنيا رنة؟
اليومَ أبدأ حفلَ ميلادِ الهوى
سأضيءُ ضلعي شمعةً كي أبدأه.

(لو) .. ذلك الحرف الذي يوحي إليك بعدم اكتمال
مباهج العيش وكأس الهناءة في هذا الزمان، فهو
حرف الامتناع للامتناع، وكأن سعادتها بكأس الحب
ينقصه ما ينقصه من متع الدنيا ورغد العيش، فماذا لو
حنّ الزمان وأكمل عقد فرحها وغير الليل المعتق
مبدأه، ومنحت الدنيا الفرح رنة للحياة، ولكن رغم
بخل الزمان باكتمال طيب العيش إلا أنها لا تبالي،
وستمضي لأبعد حدٍ في عشقها، لتمنحه ما لا يمكن أن
تمنحه أنثى لحبيب من ولهٍ وعشق، ففي يوم مولده
تعاهده وتأخذ له على نفسها العهد، وبعد ذلك تبدأ في
طقوس حفلها الخاصّ جداً، غزلاً حلواً وغراماً صافياً
في ليلة خاصّة جداً، مُدلّلة له ومتغنيّة بحلو الغرام:

سيظلُّ كالطُّفلِ المُدَلِّلِ في دَمِي
وأضْمُ بَيْنَ غُصُونِ رُوحِي ملجأهُ
بالشَّمْسِ يلهو فوقَ رِبْوَةٍ مُهَجَّتِي
وبأعْيُنِي يُحيي النُّجُومَ المُطَفَّاءَ
هذا الذي مِنْهُ اسْتَقَيْتُ سَعَادَتِي
سأفيضُ دومًا بالحياةِ لِأَمَلَاءِ
سأكونُ أَمَّا للمشاعرِ طَبْعُهَا
لَنْ تَسْتَطِيعَ معاجِمُ أَنْ تَقْرَأَهُ

ماذا عساها تلك الأنتى أَنْ تكون؟! أولاً يكفيها أَنْ تكون
الحبيبة والعشيقة وكأس الهوى؟! لا، إنها المُحِبَّة
الوجلة التي تعرف حقوق الحبِّ وفروض الغرام فلن
تقبل أَنْ تشرب ريَّ غرامه وسكر محبته فقط، بل
تتقنن في فنِّ العطاء والمنح، لترتشف شهد الرِّضا من
رضاه، فهناك نفوس قد جُبِلت على المنح والعطاء،
فهو عندها الطُّفل المدلل، يلهو حبًّا ورضا كيفما يشاء،
طفل يمنحها بسعادته وعبثه ضوء النُّجوم حلاوة
وحياة، إنه مصدر سعادتها وحياة لقلب أمومتها،
وحاشا أَنْ تحوي غرامها كلُّ معاجم اللغة وكلُّ حروف
البيان، ومتى كانت اللغة يوما تحوى مشاعر أمَّ حانية،
وعاشقة كان ما كان بها من فيض الهيام؟!!

إن جمال التصوير ورقته ينبع بالتأكيد من صدق
العاطفة وصدق الوجدان، فها هي ترسم لوحة جمالية
من تصوير كلي، لوحة خضراء مفعمة بالزهور،
لنرى في تلك اللوحة الشعرية طفلاً مدلاً يلهو ويلعب
فوق صدرها، وسماء صافية منيرة بنجوم السعادة
والرضا، وتلك الجنة لا ينقصها شيء من جمال، فها
هو نهر الحياة يسير متدفقاً بخمر المحبة وماء
المحياة، إنها تغزل بصورها الجزئية من الاستعارات
الجميلة والكنائيات صورةً كليةً فيها كلّ مباحج الحياة،
فالتصوير البلاغي والعمق الدلالي ثري وواضح جداً.
ولنقف عند دلالات بعض الألفاظ في ذلك المقطع
الشعري (دمي - غصون روي - مهجتي - بأعيني)..
تراسل الحواس عند هبة الفقي مبهر جداً، ومعبر غاية
التعبير عما تملكها وسرى في كلّ وجدانها روحاً و
جسداً، فكانت النتيجة الطبيعية (سأفيض دوماً بالحياة
لأملأه)، فماذا تبقى من معاني الحب الصافي عند
الأنثى لتمنحه، وقد منحته كلها عن طيب خاطر، أما
وحبيبة وزوجة ووفاء. وكعادة شواعر الغزل عبر
التراث الشعري يفضن عذوبة وصفاء، فراها تجابهن
وتقارعهن، إن حباً فحب، وإن عشقا فعشق، وإن همسا
فغناء، بل تراحم فحول الشعراء في التقاخر والتباهي
بالغزل في تيه وفخر غير عابئة بمن حولها من سهام
ونقد، فلها عالمها الخاص وكونها المتقرد، متغنية بعلو

صوتها:

كلُّ القصائدِ سوفَ تُنثَى من فَمِي
وستولّدُ الأشعارُ من رَحِمِ امرأةٍ
وسيدركُ العُشّاقُ أنَّ ربيعَهُم
حَرَفِي لأزمنةِ المحبّةِ هِيأه
لو كانَ شوقي لَعَنهُ مَرَحِي بها
والقلبُ من لَعَنَاتِهِ لَنَ أُبرئُهُ.

أية لعنة تتحدثين عنها أيتها العاشقة الشاعرة؟! ونرى هنا من خلال ذلك المقطع مدى تمكّن الشاعرة من قدرتها اللغوية، وكأثها تخوض فن المعارضات الشعرية في زمن الأمويين، واثقة من حرفها العصيّ، معلنة أنّها ستكون لمن بعدها منبرا لقصيدة الغزل العذريّ وكونا متقرّدا لشعر الغزل لن يطاولها فيه أحد، وهذا حقّها المشروع في التغنّي والتفاخر بحبّها، يشفع لها توهّج عاطفتها وغرور الأنثى الفطري. ولنتذوق حلاوة لفظة (ربيعهم) لتري مهارتها في استخدام الألفاظ في مكانها الصحيح، فقد جاءت بلفظ (ربيعهم) ليلائم حالة السعادة والنعيم في الهوى والعشق، ولتبعد – متمنية – عن العشاق ما يلاقونه من وجد وشجن وفراق، فلم تأت بلفظة (خريف) مثلا،

التي تعبّر عن الفقد والبرد والغياب، وكذلك لفظة (لعنة) لأن الحبّ الحقيقي ما إن يُصاب المرء به حتى يصاب بلعنة طاغية كلعنة الفراعنة، لا يمكن أن يبرأ منها العاشق حتى يفنى، لكنّه المرض المحبّب الذي يسعد به مبتلاه، وكذلك استخدامها

(لن) التي تنبئك عن أنّها ستظلّ على عهد الغرام ما حييت، ولم تستخدم الحرف (لم) الذي يفيد الماضي. وبعد تلك الفقرة التي تشبه فنّ المعارضات الشعرية والفخر والتباهي والمنازلات الشعرية، ترقّ مرّة أخرى وتلين، فهذا ليس مقام الفخر والتهيه، ولكنّه يوم الاحتفال بمولد الحبيب، فيرقّ الخيط الدرامي ويلين في عذوبة ونداوة طريّة لتدلّ محبوبها قائلة في دلال وخفر:

حَطَّ الوصالُ رحالُهُ في جَنَّتِي
وَأنا أَعَدُّ صَبابَتِي لأَهْنَأَهُ
أوليسَ بعد الصَّبَرِ تأتي فرحَهُ
وثَبَادُ بالحِسانِ نارُ السَّيِّئَةِ
أَبْصَرْتُ يومَ الفِصلِ في حُكْمِ الهوى
أَنَّ القلوبَ بدونَ حُبِّ مُخْطِئَةٍ
قَدَرُ تَجَلَّى في سماءِ أرواحنا

سهمٌ وليسَ بوسعنا أنْ نُبطِّئَه.

(أن القلوب بدون حب مخطئة)، نعم إنه فنّ الغزل النسوي الرفيع الذي يشعُ حلاوة وشهدا، وها هي تُعدّ كأس اللغة غراما وتملأه من حلاوة روحها كي تسعده (وأنا أعد صابتي لأهنئه)، فيالها من أنثى عاشقة تملؤها الصبابة جنونا وعشقا. ولتتعلم بنات جنسها منها شيئا، من خلال تلك الجملة الساحرة الجامعة، فماذا تقدّم المرأة العاشقة للزوج الحبيب؟! اختزلت هبة الفقي كلّ ذلك في جملة (أعد صابتي) ولم تخبرهنّ كيف؟! لتترك لكلّ أنثى حسب مقدرتها وثقافتها ما تقدّمه من فنون الهوى وطقوس العشق، ما إنْ يخلصن فيه فقد يأتين بما لم يؤت به، ولكنها الأنثى المحبّة لجلال الحبّ ليسعد كل البشر. (وثباد بالحسنات نار السيئة)، ميراث ثقافي من التراث الإسلامي تستخدمه في مبالغة رقيقة (إن الحسنات يذهبن السيئات)، وما أرقّ وأجمل أن يكون الحبيب حسنة زمانها الذي تمحو به سيئات الغياب والبرد قبله، فأَي عيدٍ لهذا الحبيب أشهى من هذا الدلال؟ وتلك شموع الوجد صافية صادقة، من قلب زوجة محبة تعرف مقدار الزوج وتقدّس كأس الحبّ.

(قدر - سهم) .. استخدام دقيق جدا، فهي الراضية عن

حياتها، ناسبة تلك الحياة الزوجية لسهم القدر وغالبا ما
نستخدم لفظ (سهم القدر) سخطا ومرارة، ولكن عند
شاعرتنا تستخدمهما رضا ومحبة بقضاء الله وشكرا
على ما منحها ومنَّ عليها، والدليل على رضاها بهذا
السهم القدريَّ وحبها وترحيبها بشغف جملة (وليس
بوسعنا أن نبطئه)، فهي الفرحة العجول بإنفاذ هذا
السهم.

إننا أمام تجربة غزلية حلوة وماتعة، مشوقة حدّ
الإمتاع والشّوق، من عذوبة ألفاظ خلابة، وحسن سياق
في أسلوب رقيق هادر، ودرامية متنامية حسب وجدان
متنامٍ

ومشوق، ما بين الرقة في الغزل، والقوة في الفخر،
والهدوء في الحكمة، وصور بلاغية موحية تنشي
بدلالات متعدّدة، مع براعة في رسم الصور الكليّة لكلّ
مقطع وحالته، ووحدة عضوية متماسكة البناء من
أول القصيدة لنهايتها، ممسكة ببراعة بكأس الحبّ
وشموع التهنئة القلبية لحبيبها في يوم مولده المعجزة.

شكرا هبة الفقي وشكرا لمن فجر في وجدانها كلّ هذا
الحبّ .

((..ميلادُ الغرام ..))

اليومَ أفتحُ للحنينِ مرافقَه
وأبثُّ أمواجَ الغرامِ لأطفئَه
طقسُ الجنونِ يلفُ صمتَ دقائقِي
باللهِ كيفَ لخافقي أن يُرجئَه
قد حانَ صبحُ المعجزاتِ فها أنا
والأمنياتُ على يَدِي متلائمَة
سأزيلُ عن ثغرِ الفؤادِ لجامَه
حتى يبوحَ بكلِّ شوقٍ خبَّأه
ماذا لو الأحلامُ صبَّتْ شهدَها
أو بدَّلَ الليلُ المُعتَقُ مبدأه؟
ماذا لو البسماتُ هلَّتْ ريحُها
أو صارتُ الأفراحُ للدنيا رئة؟
اليومَ أبدأُ حفلَ ميلادِ الهوى
سأضيءُ ضلعي شمعةً كي أبدأه
سيظلُّ كالطُّفلِ المُدللِ في دَمِي
وأضمُّ بينَ عُصونِ رُوحِي ملجأه

بالشَّمْسِ يَلْهُو فَوْقَ رِبْوَةٍ مُهْجَتِي
 وَبِأَعْيُنِي يُحْيِي النُّجُومَ الْمُطَفَأَةَ
 هَذَا الَّذِي مِنْهُ اسْتَقَيْتُ سَعَادَتِي
 سَأَفِيضُ دَوْمًا بِالْحَيَاةِ لِأَمَلَاءِ
 سَأَكُونُ أَمَّا لِلْمَشَاعِرِ طَبْعُهَا
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعَاجِمٌ أَنْ تَقْرَأَهُ
 كُلُّ الْقَصَائِدِ سَوْفَ تُنْتَلَى مِنْ فَمِي
 وَتَسْتَوْلِدُ الْأَشْعَارُ مِنْ رَحِمِ امْرَأَةٍ
 وَسَيُدْرِكُ الْعُشَّاقُ أَنَّ رِبِيعَهُمْ
 حَرْفِي لِأَزْمَنَةِ الْمَحَبَّةِ هِيَا
 لَوْ كَانَ شَوْقِي لَعْنَةٍ مَرَحَى بِهَا
 وَالْقَلْبُ مِنْ لَعْنَاتِهِ لَنْ أَبْرَأَهُ
 حَطَّ الْوَصَالُ رَحَالُهُ فِي جَنَّتِي
 وَأَنَا أَعْدُ صِبَابَتِي لِأَهْنِئَتِهِ
 أَوْلَيْسَ بَعْدَ الصَّبْرِ تَأْتِي فَرَحَةٌ
 وَتُبَادُ بِالْحَسَنَاتِ نَارُ السَّيِّئَةِ
 أَبْصَرْتُ يَوْمَ الْفَصْلِ فِي حُكْمِ الْهُوَى
 أَنَّ الْقُلُوبَ بَدُونَ حُبِّ مُخْطِئَةٍ

قَدْرٌ تَجَلَّى فِي سَمَا أَرْوَاحِنَا
سَهْمٌ وَلَيْسَ بَوَسْعِنَا أَنْ نُبْطِنَهُ

المرأة عند فوزية شاهين

المهرة والنخلة فوق الثريا

في كل عصر من العصور الأدبية منذ القدم لم يكن للصوت الشعري النسائي حضور كبير أو طاغي شأن الرجال، وإن وجد فعلى استحياء، وقليلات من برعن وعلا صوتهن ودام براقا، إلا القلائل جدا على شاكلة الخنساء ونازك الملائكة وليلى العامرية وولادة وغيرهن، وبينهن شردام متفرقة.

ولكن عندما نقف على تلك العتبة الشعرية النسائية العالية الصوت في جراءة وجسارة غير معهودة على الأدب العربي، فنحن بحق أمام شاعرة شاعرة، تعرف متى تتكلم ومتى تصمت، تعرف أي أدوات شعرية تمتلك و ملكات انثوية تصيح وتهمس ، إنها فوزية شاهين (خنساء العصر) كما لُقبت ، ذلك الصوت الشعري الذي يضرب في ضروب الشعر العربي المعاصر وبلا استحياء، واثقة من ذاتها الشاعرة ومؤمنة بما تملك حد الإيمان .

ونرى ذلك واضحا في كل أعمالها الشعرية ومن أمثلة ذلك قصيدة (هيت لك) التي تعبر فيها بصراحة وجبروت عن ذاتها الأنثوية واعتزازها بأنوثتها بكل فخر، وثقتها وشموخها وكبريائها أولا، ثم اعتزازها

وفخرها بحرفها العصى الذي تروضه، رقة وعذوبة
متشحا بثوب الكبرياء والشموخ.

في تلك القصيدة العمودية الخيلية الكاملة المنسوجة
بحكمة واقتدار مستخدمة اللغة التراثية الحداثية لتعبر
عن قضية إنسانية في المقام الأول وما تعانيه المرأة
من التقاف الذئاب الطامعين فيها كسلعة رخيصة على
مر العصور كفرش متاع، مستخدمين للإيقاع بها سرد
تاريخا - هو من الزيف - كرحيق الزهرة يعجب
الفراشات كي يقعن في الشرك، ولكنها النخلة التي
تحلق بهامتها فوق الثريا صادحة في تعالٍ وكبرياء
ممقوت إلا في تلك الحالة التي تعلن فيها عن
شخصيتها وعزة نفسها رادعة من تسول له نفسه، بل
تعريه من قناع الزيف.

فلو كان يمتلك بعضا مما يسرد من محاميد كاذبة عنده
ما علا ولم يذكرها ذلك الشبيه بالرجال..

إِنْ كُنْتُ لِي، فَأَنَا وَرَبِّي لَسْتُ لَكَ
مَا قُلْتُ يَوْمًا لَأَمْرِي : يَا .. هَيْتَ لَكَ

هَٰذَا الشَّبَّابُ أَقْبَاهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَرَوْيْ فُؤَادَكَ أَيَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكَ.

ويظهر ذلك من البيت الأول عندما تتحدث في عنف
وتعال مستخدم (إن) الشرطية لإمعان الشك في نواياه

(إن كنت لي ...)، ولم تذكر تلك الصفة التي هو عليها، عبدا أو عاشقا أو أو، فهي تأبى أن تصفه بالعاشق المحب، فهي التي تأنف ولو جدلا، أن تتسب تلك الصفة لتلك الشخصية المقنّعة، ويأتيه الرد قسما حاسما مغلظا (لست لك)، وتتابع في فخر معلنة عن خفرها وحيائها الجم:

ما قولت يوما لأمرئ هيت لك

هَـذِي الشَّبَاكُ أَلْفَتْهَا مِنْ قَبْلُ أَنْ
يَرَوْيْ فُؤَادَكَ أَيَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكَ

أَنَا لَسْتُ مِمَّنْ أَوْهَمُوكَ بِسِحْرِ عَيْنِكَ،
أَوْ جَمَالِكَ، أَوْ دَلَالِكَ، دُونَ شَاكِ.

ثم تظهر مدى تحضرها وخبرتها وحنكتها التي اكتسبتها من الأيام (هذي الشباك ألفتها من قبل) ولنقف هنا أمام دلالة اللغة عند فوزية شاهين في اسخدام تلك الألفاظ (الشباك _ يروي _ درب)، فالشباك حتما توحى بالخدعة والمكر، فيناسبها تباعا لفظة (يروى) التي تدل على عدم الصدق وأنه معسول الكلام ثم بعدها مباشرة لفظة (درب) لتدل بوضوح على تمرس تلك النوعية من كثرة الخداع، ولكنها الأنثى التي ترى بجلاء لبها ما يحاك لها من زيف الغرام.

ثم تطلقها صرخة قوية مفاخرة بذاتها (أنا لست ممن
أوهموك)، فما تملكه من مفاتن مادية جسدية لا تعيرها
أى اهتمام فهي الشاعرة التى تعشق الروح والخيال
وسمو النفس وليس سحر عينيك أو جمالك فما جمال
الرجل إلا خلقه ومشاعره:

زُوراً أَتُوكَ بِوَصْفِهِمْ، فاعْلَمْ بِأَنِّي
نَجْمَةٌ لَوْ رُمْتُهَا، حَرَقَتْ يَدَكَ
أَنَا نَخْلَةٌ فَوْقَ الظُّنُونِ، وَفَوْقَ أَحْلَامِ
الْجُنُونِ، وَلِيْ مَدَارٌ فِي الْفَلَكِ.

ومن خلال الخيط الدرامي للقصيدة تكشف لك الشاعرة
عن تلك الشخصية المتغترسة أنها كانت فلكا ومحل
عجب في وسطٍ ما، وكان يتمتع بنجومية زائفة لم
تتطل عليها (زورا أتوك بوصفهم)، ولكنها تعلن
التحدي مستخدمة صيغة الأمر من زجر وامتهان
(فاعلم) ثم مستخدمة ضمير الملكية في شموخ وحرف
الجر الزائد في (باني نجمة) وبعدها تتقن مهارة
استخدام التراكيب اللغوية بحرف الامتناع للامتناع
(لو) لتبين الاستحالة والنفى المطلق في أنه قد يرومها.
وما أبرعها من شاعرة تستخدم مفرداتها بما يعبر عن
طاقة الغضب والتحدي بدقة لتعبر عن الشموخ

والغضب في آن واحد في لفظ (رُمْتها) ولم تستخدم
(نلتها) فمجرد التفكير أو التمني مرفوض ولن يحدث،
فهى تنزه النفس عن مجرد الاقتران ولو في اللفظ .
وتعيد لنا سيرة العربيات الماجدات، فالمرأة العربية في
الشموخ والرفعة (نخلة) منزهة عن أن يطولها أحد
ولكنها المثمرة أيضا في عليائها، فهي العالية عن درب
الخرف والهذيان، ولم تنف عن نفسها أنوثتها وفطرتها
الأنثوية وما يكمن داخلها من مشاعر وأنوثة، ولكنها
تترفع عن الظنون والجنوح، ولكنها الأنثى في مدارها
الطبيعي التى خلقت له، من عذرية وحياء وأنوثة، فما
أرق اللغة في يد شاعرة .

ويظهر ذلك عندها في المنحنى الدرامي الرقيق
للقصيدة في إظهار حقيقة أنثاها، وأنها الرقيقة، الجنة
الورافة الناعمة الخضرة، والمهرة الجموح رغبة
وشهوة بكرا وأنوثة لكن بحقها:

أَنَا جَنَّةٌ فَوْقَ الثَّرِيَّا هَامَتِي
وَجَهَنَّمُ، مَنْ مَسَّ بُرْدَتَهَا هَلَكَ °

أَنَا مُهْرَةٌ، قَلْبِي عَصِيٌّ بَيْنَمَا
خِيَالُ عُمْرِي كُلِّ عُمْرِي قَدْ مَلَكَ .

ورغم أن المجال هنا مجال رقة وعذوبة ودلال إلا أنه
لم يغب عنها لمن توجه خطابها، فتحطاط جيدا حتى

لا يطمع الذي في قلبه مرض.
نعم تبرز صفتها الحقيقية من أنوثة ولكن مع استمرار
ضمير الفخر والعظمة (أنا) التي تستخدمه، ولو كانت
في مجال الدلال - أزع - ما استخدمته .
ولن أحدثك عن التضاد التي يظهر جنة ونار الأنثى إذا
أحبت وإذا رغبت (جنة _ جهنم) (عصي، ملك)
وغير غامض عند فوزية شاهين الإسقاط الدلالي في
المورث و برعاتها في تطويعه ليعبر عن تجربتها
الشعرية (مهرة - نخلة - الثريا - عصي ...) فهي
واعية لموضوع الاستلهام الذي يخدم الفكره ولا يكن
عبئا على النص وليس اسظهارا للثقافة
وليكن لنا وقفة بسيطة مع (خيال عمري كل عمري قد
ملك) هنا صفات الأنثى، الأنثى من وفاء وأنوثة
ورغبة وشموخ وأصالة وتضحية وإنكار للذات، كل
ذلك وإذا تمعننت جيدا تجد أكثر، وهنا تجنح اللغة
عندها للرقه والضعف الفطري الذي تكنه المرأة
بجوانحها للرجل، فهي رُغم كل ما سبق أنثى، فما بالك
لو كانت تلك الأنثى شاعرة؟!.

ثم يعود الخيط الدرمي واللغوى مرة أخرى إلى
الصعود لنبرة التأديب والتهذيب الذي من أجله نظمت
القصيدة، فلا تفقد الخيط الدرامي من بين يديها كما يقع
البعض، ولا تجري خلف الإستظهار اللغوي أو
التصوير الجمالي، بل تعود مرة أخرى اللي الحزم،

فهي الشاعرة المحنكة الماهرة وكأنها تكتب سيناريو أدبي وليست تتظم قصيدة دون أن تضيع منها خيوط الحبكة الدرامية.

فبعد أن أظهرت جوهرها الحقيقي تبادر بالاستهجان حتى لا يطمع صاحب تلك النفس المريضة المتغطرة في دلالها بقولها:

من أنت قل لي ؟

مَنْ أَنْتَ قُلْ لِي ؟؟ مَا عَيَّيْتَ مِنَ الْقِنَاعِ
وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ نُوراً شَكَّلَكَ ؟؟

أَنَا يَا خَوْوَنًا حَرْتُ فِيكَ فَطَابَ لِي
يَوْمَ ارْتَأَيْتُكَ سَادِرًا أَنْ أَسْأَلَكَ:

أَوْ جِئْتَنِي كَيْمَا تَفُوزُ بِنَظَرَةٍ
أَمْ جِئْتَنِي حَتَّى أَفُوزَ وَأَجْهَلَكَ ؟؟

وهنا يكون الاستفهام الاستنكاري ملائماً جداً للتبكيث والعتب، مع استخدام صيغة المبالغة في تعرية تلك الشخصية المتقنعة (يا خؤونا) ضاربة في عمق ذاته التي تشكلت ليس من النور بل من الخيانة، ومن ذكاء الشاعرة حتى لا يسأل سائل إذا كانت كما تدعى وأنها لا تهتم وتتجاهله فلم كل هذا؟ فعندها الرد كالسهم واضحاً جلياً، إن تلك الشخصية قد استقرتها بما تلبسه

من أقنعة و ادعاءات وكثرة تحدث عن نفسه، خاصة أنها لم تسع لمعرفة حقيقته، لأنه لا يمثل لها شيئا، وقد استخدمت لفظة في غاية الروعة من الدقة (ارتأيتك) ولم تستخدم (رأيتك) إذ هم قد حدثوها، فهو في نظرها غير موجود أصلا، ولكن أرادت أن تعريه من كثرة ما قد أشاع عن نفسه وكان مثار حديث الكثيرين. وإذا كانت هي النخلة العالية التي تسبح بهامتها فوق الثريا فمن الطبيعي أن تأتيتها تلك الشخصية الهلامية كي تضيف وردة في عروة بدلتها يتباهى بها، ولكنه نال ما قد استحق (أو جئنتي حتى) وهنا تجد المفارقة اللغوية الجميلة فكان المتوقع أن تقول (تفوز) ولكنها تأبى عليه حتى مجرد لفظة الفوز ولو لفظا، فجاءت مباشرة بالنتيجة الطبيعية لتلك المهرة الأصلية (أفوز) وكيف فوزها، فقط مع تلك الشخصية يكون بـ (أجهلك).

وهنا لابد أن تقف قليلا مع لفظة (أجهلك)، هل هو تجاهل أم جهل منه وسذاجة وسفه؟ أم تجاهل بغض لتلك الذات المنتفخة غرورا تحت قناع الخيانة والغدر؟.

ما أروع بحرها الشعري (الكامل) الذي استخدمته للتعبير عن تلك الحالة من الغضب والفخر والرقعة والعذوبة، وما أروع سير الخيط الدرامي قوة و رقعة دون الخلل أو الشرود بعيدا عن جوهر قضيتها، وما أرقى الاستخدام اللغوي المحسوب بدقة مع الروعة

والحكمة في استلهم الموروث العربي الأصيل، ودقة
التصوير الخيالي الذي جاء قليلا ليتناسب مع حالة
الفخر والتبكي والتأنيب.

نعم، فوية شاهين صوت شعري له عبقة وتجربته
الشعرية الخاصة جدا، ومن الشواعر اللائي حفرن
اسمهن بحروف من ألق في عالم الشعر النسائي
المعاصر وبقوة.

(لا هَيْتَ لَكَ)

إِنْ كُنْتُ لِي، فَأَنَا وَرَبِّي لَسْتُ لَكَ
مَا قُلْتُ يَوْمًا لَأَمْرِي : يَا .. هَيْتَ لَكَ
هَذِي الشَّبَاكَ الْفُتْهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ
يُرَوِّي فُؤَادُكَ أَيَّ دَرْبٍ قَدْ سَلَكَ
أَنَا لَسْتُ مِمَّنْ أَوْ هَمُّوكَ بِسِحْرِ عَيْنِكَ،
أَوْ جَمَالِكَ، أَوْ دَلَالِكَ، دُونَ شَاكَ
زُورًا أَتُوكَ بِوَصْفِهِمْ، فاعْلَمْ بِأَنِّي
نَجْمَةٌ لَوْ رُمْتَهَا، حَرَقَتْ يَدَكَ
أَنَا نَخْلَةٌ فَوْقَ الظُّنُونِ، وَفَوْقَ أَحْلَامِ
الْجُنُونِ، وَلِي مَدَارٌ فِي الْفَلَكِ
أَنَا جَنَّةٌ فَوْقَ الثَّرِيَّا هَامَتِي.
وَجَهَنَّمُ، مَنْ مَسَّ بُرْدَتَهَا هَلَكَ
أَنَا مُهْرَةٌ، قَلْبِي عَصِيٌّ بَيْنَمَا
خِيَالُ عُمْرِي كُلِّ عُمْرِي قَدْ مَلَكَ
مَنْ أَنْتَ قُلْ لِي ؟؟ مَا عَيَّيْتَ مِنَ الْقِنَاعِ
وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ نُورًا شَكَّلَكَ ؟؟
أَنَا يَا خَوْوَنًا حَرْتُ فِيكَ فَطَابَ لِي
يَوْمَ ارْتَائِيكَ سَادِرًا أَنْ أَسْأَلَكَ :

أَوْ جِئْتَنِي كَيْمَا تَفُوزُ بِنَظَرَةٍ
أَمْ جِئْتَنِي حَتَّى أَفُوزَ وَأَجْهَلَكَ؟؟
مَا أَجْهَلَكَ!!